فبالنسبة لكيسنجر توجد جميع الازمات الدولية على متصل واحد من حيث ان حلها يقرره في النهاية ميزان القوة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ومن هنا فان حل كل قضية في مصلحة اميركا لا يتوقف على وقائع الحالة الموضوعية للقضية (« لقد ارتكبنا اخطاء في الفيتنام ») ، بقدر ما يتوقف على ميزان القوة الاجمالي . فان اظهار الارادة والقوة في احدى المناطق ، والمرونة في منطقة اخرى ، يتوقع ان يسهم في نتيجة مؤاتية في منطقة ثالثة . وعلى النحو التالي وصف كيسنجر عام ١٩٧٠ الصلة بين الغزو الاميركي لكامبوديا وهدفه في الشرق الاوسط : « من الهراء القول ، بالطبع ، اننا فعلنا ما فعلناه في كامبوديا بغية ترك تأثير قوي على الروس في الشرق الاوسط . ولكن علينا من غير ريب ان نتذكر ان **الروس سيحكمون علينا وفقا للمزم العام لعرضنا في كل مكان** . وان ما يفعلوه في الشرق الاوسط ، مهما كانت نواياهم ، يشكل اعظم الاخطار في المدى البعيد على اوروبا الغربية واليابان ، وبالتالي ، على الولايات المتحدة » . (ارشادات حول خلفية الانباء في سان كليمنتي ، ٢٦ حزيران ١٩٧٠) . بعد ذلك ببضعة اشهر ، في اعقاب اظهار القوة في الحرب الاهلية الاردنية ، قال كيسنجر : « نعتقد بان العمليات في كامبوديا ــ ساعدت فعلا مصداقية عمل (رئيس الجمهورية) في الاردن » . (**ارشادات حول خلفية الانباء ، هارتفورد ، كونيكتيكات** ، ١٢ تشرين الاول ١٩٧٠) .

في هذه الاثناء كان الرئيس نيكسون قد كشف عن « الترابطات » وحدد ثمن التنازلات الثانوية التي ستكون الولايات المتحدة مستعدة للقيام بها من اجل الوفاق . وفي احد المؤتمرات الصحافية اشار الى توقعه التعاون من الاتحاد السوفياتي في الفيتنام والشرق الاوسط مقابل التقدم في الجولة الاولى من مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية : « ان ما اريد فعله هو التأكد من اننا سنعقد محادثات الاسلحة الاستراتيجية بطريقة وفي وقت من شأنهما تشجيع التقدم ، اذا امكن ، حول القضايا البارزة في الوقت ذاته ــ على سبيل المثال حول مشكلة الشرق الاوسط وحول مشكلات بارزة اخرى تستطيع فيها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، بتصرفهما معا ، ان يخدما قضية السلام » . (**نيويورك تايمز ، ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٩**) .

كان على الذين قرأوا كتابات كيسنجر بدقة وتمعن ان يتكهنوا بان ادارة نيكسون ستعطي اولوية عليا لتحريك واستغلال النزاع الصيني ــ السوفياتي . كان على الدوام من دعاة انتهاج سياسة كهذه . ففي عام ١٩٥٥ ، عندما دعا لاول مرة الى « حروب محدودة » او « صغيرة » تنطوي ، حيث تدعو الضرورة ، على التهديد بالاسلحة النووية التكتيكية واستخدامها ، جادل بان مثل هذه الاستراتيجية ستسهم في « مهمتنا الاساسية الرامية الى ايقاع الشقاق بين الاتحاد السوفياتي والصين » . وفي ذلك الحين جادل ايضا من اجل خلق « احتمالات » عسكرية وربطها بالدبلوماسية . ولم تكن النية « دحر » الصين فحسب بل « اجبار الاختلاف في الاراء على الخروج الى العلانية » . ووفقا لسيناريو كيسنجر كان على الولايات المتحدة ان (أ) تكون مستعدة لاستخدام الاسلحة النووية المحدودة ضد الصينيين ابان الحرب الكورية ، (ب) توصل هذه النية الى العدو ، (ج) وتتبع التهديد « باقتراح سياسي استرضائي لبيكين » ، بحيث تعرض على « الجانب الاخر مخرجا دون الاستسلام التام او الحرب التامة » . وتصور كيسنجر النتيجة التالية : « ... كنا سنواجه الاتحاد السوفياتي بمعضلة ما اذا كان عليه ان يجازف بكل شيء من اجل زيادة قوة الصين ، ولو اننا اعتبنا انتصارنا باقتراح سياسي استرضائي لبيكين لجعلناها تتأمل في ما اذا لم تكن النية الحسنة الاميركية تمثل حماية افضل من الاتباع الاعمى للخطر السوفياتي. ولكن حتى ولو اخفقنا في مهمتنا الاساسية الرامية الى ايقاع الشقاق بين الاتحاد السوفياتي والصين، لكنا حسنا الى حد كبير مركزنا ازاء حليفاتنا وحتى اكثر ازاء الامم غير المنحازة في اسيا ... واتاحت الهند الصينية لنا فرصة مماثلة وان كان في ظل ظروف اقل مؤاتاة ، علما بان مشكلة الهند الصينية ما كانت ستتخذ ابعادها الحالية لو اصيبت الصين بنكسة حاسمة في اول مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة ... » ، (« دفاع عن المناطق الرمادية »، **المصدر نفسه** ، ص ٤٢٥ ــ ٤٢٦) .

ويمكننا التأكد من مدى ثبات كيسنجر على تفكيره